سلسلة متون معهد السنة

النسخة الأولى 1443

التبرج وخطره

للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

توفي سنة 1420 رحمه الله

معهد السنة
As-Sunnah College

سلسلة متون معهد السُّنّة - رقم (مقترحة)
النسخة الأولى (١٤٤٣)

معهد السنة
As-Sunnah College

التبرُّج وخطرُه

لعبد العزيز بنِ عبد الله ابن باز

توفي سنة ١٤٢٠ هـ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أَمَّا بَعْدُ..

فَلَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ كلِّ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ مَا عَمَّتْ بِهِ الْبَلْوَىٰ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ مِنْ تبرُّجِ الْكَثِيرِ مِنَ النِّسَاءِ وَسُفُورِهِنَّ وَعَدَمِ تَحَجُّبِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِبْدَاءِ الْكَثِيرِ مِنْ زِينَتِهِنَّ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ إِبْدَاءَهَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حُلُولِ الْعُقُوبَاتِ وَنُزُولِ النَّقَمَاتِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ مِنْ ظُهُورِ الْفَوَاحِشِ وَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَعُمُومِ الْفَسَادِ.

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُون، وَخُذُوا عَلَىٰ أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ، وَامْنَعُوا نِسَاءَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ، وَأَلْزِمُوهُنَّ التَّحَجُّبَ وَالتَّسَتُّرَ، وَاحْذَرُوا غَضَبَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَعَظِيمَ عُقُوبَتِهِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**».

وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَغَيْرِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَىٰ يَدِ السَّفِيهِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبُنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ يَلْعَنُكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**».

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،**

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِتَحَجُّبِ النِّسَاءِ وَلُزُومِهِنَّ الْبُيُوتَ، وَحَذَّرَ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ صِيَانَةً لَهُنَّ عَنِ الْفَسَادِ وَتَحْذِيرًا لَهُنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ.

[١] فَقَالَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب] الْآيَةَ.

نَهَىٰ سُبْحَانَهُ فِي هَٰذِهِ الْآيَةِ نِسَاءَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُنَّ مِنْ خَيْرِ النِّسَاءِ وَأَطْهَرِهِنَّ عَنِ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ؛ وَهُوَ تَلْيِينُ الْقَوْلِ وَتَرْقِيقُهُ، لِئَلَّا يَطْمَعَ فِيهِنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ شَهْوَةِ الزِّنَىٰ، وَيَظُنُّ أَنَّهُنَّ يُوَافِقْنَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِلُزُومِهِنَّ الْبُيُوتَ، وَنَهَاهُنَّ عَنْ تَبَرُّجِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ وَهُوَ إِظْهَارُ الزِّينَةِ وَالْمَحَاسِنِ كَالرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَالْعُنُقِ وَالصَّدْرِ وَالذِّرَاعِ وَالسَّاقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الزِّينَةِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ الْعَظِيمِ وَالْفِتْنَةِ الْكَبِيرَةِ، وَتَحْرِيكِ قُلُوبِ الرِّجَالِ إِلَىٰ تَعَاطِي أَسْبَابِ الزِّنَىٰ.

وَإِذَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ يُحَذِّرُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَٰذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُنْكَرَةِ مَعَ صَلَاحِهِنَّ وَإِيمَانِهِنَّ وَطَهَارَتِهِنَّ فَغَيْرُهُنَّ أَوْلَىٰ، وَأَوْلَىٰ بِالتَّحْذِيرِ وَالْإِنْكَارِ وَالْخَوْفِ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ، عَصَمَنَا اللهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ عُمُومِ الْحُكْمِ لَهُنَّ وَلِغَيْرِهِنَّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ فَإِنَّ هَٰذِهِ الْأَوَامِرَ أَحْكَامٌ عَامَّةٌ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِنَّ.

[٢] وقـــال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

فَهَٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَصٌّ وَاضِحٌ فِي وُجُوبِ تَحَجُّبِ النِّسَاءِ عَنِ الرِّجَالِ وَتَسَتُّرِهِنَّ مِنْهُمْ.

وَقَدْ أَوْضَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ التَّحَجُّبَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَأَبْعَدُ عَنْ الْفَاحِشَةِ وَأَسْبَابُهَا، وَأَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ أَنَّ السُّفُورَ وَعَدَمَ التَّحَجُّبِ خُبْثٌ وَنَجَاسَةٌ، وَأَنَّ التَّحَجُّبَ طَهَارَةٌ وَسَلَامَةٌ.

فَيَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؛ تَأَدَّبُوا بِتَأْدِيبِ اللهِ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللهِ، وَأَلْزَمُوا نِسَاءَكُمْ بِالتَّحَجُّبِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الطَّهَارَةِ وَوَسِيلَةُ النَّجَاةِ.

[٣] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب].

وَالْجَلَابِيبُ جَمْعُ جِلْبَابٌ، هُوَ مَا تَضَعُهُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ رَأْسِهَا، وَبَدَنِهَا فَوْقَ الثِّيَابِ؛ لِلتَّحَجُّبِ وَالتَّسَتُّرِ بِهِ، أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِدْنَاءِ جَلَابِيبِهِنَّ عَلَىٰ مَحَاسِنِهِنَّ مِنَ الشُّعُورِ وَالْوَجْهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ يُعْرَفْنَ بِالْعِفَّةِ، فَلَا يَفْتَتِنَّ وَلَا يَفْتِنَّ غَيْرَهُنَّ فَيُؤْذِيهُنَ.

قَالَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: (أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ، وَيُبْدِينَ عَيْنًا وَاحِدَةً).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: سَأَلْتُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، فَغَطَّىٰ وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ وَأَبْرَزَ عَيْنَهُ الْيُسْرَىٰ.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ عمَّا سَلَفَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي ذَلِكَ قَبْلَ النَّهْيِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

[٤] وقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾ [النُّورُ].

يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْقَوَاعِدَ مِنَ النِّسَاءِ، وَهُنَّ الْعَجَائِزُ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنّ عَنْ وُجُوهِهِنَّ وَأَيْدِيهِنَّ إِذَا كُنَّ غَيْرَ مُتَبرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ، فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُتَبَرِّجَةَ بِالزِّينَةِ لَيْسَ لَهَا أَنْ تَضَعَ ثَوْبَهَا عَنْ وَجْهِهَا وَيَدَيْهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ زِينَتِهَا، وَأَنَّ عَلَيْهَا جَنَاحًا فِي ذَلِكَ وَلَوْ كَانَتْ عَجُوزًا؛ **لِأَنَّ كُلَّ سَاقِطَةٍ لَهَا لَاقِطَة**، وَلِأَنَّ التَّبَرُّجَ يُفْضِي إِلَىٰ الْفِتْنَةِ بِالْمُتَبَرِّجَةِ وَلَوْ كَانَتْ عَجُوزًا، فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَالُ بِالشَّابَّةِ وَالْجَمِيلَةِ إِذَا تَبَرَّجَتْ لَا شَكَّ أَنَّ إِثْمَهَا أَعْظَمُ، وَالْجُنَاحَ عَلَيْهَا أَشَدُّ، وَالْفِتْنَةَ بِهَا أَكْبَرُ.

وَشَرَطَ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ الْعَجُوزِ أَلَّا تَكُونَ مِمَّنْ يَرْجُو النِّكَاحَ؛ وَمَا ذَلِكَ -وَاللهُ أَعْلَمُ- إِلَّا أَنَّ رَجَاءَهَا النِّكَاحَ يَدْعُوهَا إِلَىٰ التَّجَمُّلِ وَالتَّبرُّجِ بِالزِّينَةِ طَمَعًا فِي الْأَزْوَاجِ، فَنُهِيَتْ عَنْ وَضْعِ ثِيَابِهَا عَنْ مَحَاسِنِهَا صِيَانَةً لَهَا وَلِغَيْرِهَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ سُبْحَانَهُ بِتَحْرِيضِ الْقَوَاعِدِ عَلَىٰ الِاسْتِعْفَافِ، وَأَوْضَحَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُنَّ، وَإِنْ لَمْ يَتَبرَّجْنَ، فَظَهَرَ بِذَلِكَ فَضْلُ التَّحَجُّبِ وَالتَّسَتُّرِ بِالثِّيَاب وَلَوْ مِنَ الْعَجَائِزِ، وَأَنَّهُ خَيْرٌ لَهُنَّ مِنْ وَضْعِ الثِّيَابِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ التَّحَجُّبُ وَالِاسْتِعْفَافُ عَنْ إِظْهَارِ الزِّينَةِ خَيْرًا لِلشَّابَّاتِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ، وَأَبْعَدُ لَهُنَّ عَنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ.

[٥] وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ

إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[النور].

أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ: الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَضِّ الْأَبْصَارِ، وَحِفْظِ الْفُرُوجِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِعِظَمِ فَاحِشَةِ الزِّنَىٰ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِأَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ مِنْ وَسَائِلِ مَرَضِ الْقَلْبِ وَوُقُوعِ الْفَاحِشَةِ، وَغَضُّ الْبَصَرِ مِنْ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، فَغَضُّ الْبَصَرِ وَحِفْظُ الْفَرْجِ أَزْكَىٰ لِلْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِطْلَاقُ الْبَصَرِ وَالْفَرْجِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْعَطَبِ وَالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَخْبَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُهُ النَّاسُ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَفِي ذَلِكَ تَحْذِيرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ رُكُوبِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا شَرَعَ اللهُ لَهُ، وَتَذْكِيرٌ لَهُ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَرَاهُ وَيَعْلَمُ أَفْعَالَهُ الطَّيِّبَةَ وَغَيْرَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ [يونس:٦١]، فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَحْذَرَ رَبَّهُ، وَأَنْ يَسْتَحِي مِنْهُ أَنْ يَرَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، أَو يَفْقِدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ الَّتِي أَوْجَبَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، فَأَمَرَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَضِّ الْبَصَرِ، وَحِفْظِ الْفَرْجِ، كَمَا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ صِيَانَةً لَهُنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ، وَتَحْرِيضًا لَهُنَّ عَلَىٰ أَسْبَابِ الْعِفَّةِ وَالسَّلَامَةِ.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ اللِّبَاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَلَابِسَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا تَبَرُّجٌ وَفِتْنَةٌ.

وَأَمَّا مَا يُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ فَسَّرَ ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بِالْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَىٰ حَالَةِ النِّسَاءِ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ.

وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِنَّ سِتْرَ الْجَمِيعِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَغَيْرِهَا.

ويدلُّ عَلَىٰ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَرَادَ ذَلِكَ= مَا رَوَاهُ عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ قَالَ: (أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيبِ وَيُبْدِينَ عَيْنًا وَاحِدَةً)، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَمَعْلُومٌ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ظُهُورِ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْفِتْنَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وَلَمْ يَسْتَثْنِ شَيْئًا، وَهِيَ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ فَوَجَبَ الْأَخْذُ بِهَا وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا، وَحَمْلُ مَا سِوَاهَا عَلَيْهَا، وَالْحُكْمُ فِيهَا عَامٌّ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِنَّ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقَدَّمَ مِنْ سُورَةِ النُّورِ مَا يُرْشِدُ إِلَىٰ ذَلِكَ، **وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ الْقَوَاعِدِ وَتَحْرِيمِ وَضْعِهِنَّ الثِّيَابَ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ**:

أَحَدِهِمَا: كَوْنُهُنَّ لَا يَرْجُونَ النِّكَاحَ.

وَالثَّانِي: عَدَمُ التَّبَرُّجِ بِالزِّينَةِ.

وَسَبَقَ الْكَلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ. وَإِنَّ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَبُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ تَحْرِيمِ سُفُورِ النِّسَاءِ وَتَبَرُّجِهِنَّ بِالزِّينَةِ.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا مَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ أَنَّهَا خَمَّرَتْ وَجْهَهَا لَمَّا

سَمِعَتْ صَوْتَ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطِّلِ السُّلَمِيِّ، وَقَالَتْ: (إِنَّهُ كَانَ يَعْرِفُهَا قَبْلَ الْحِجَابِ)، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ النِّسَاءَ بَعْدَ نُزُولِ آيَةِ الْحِجَابِ لَا يُعْرَفْنَ بِسَبَبِ تَخْمِيرِهِنَّ وُجُوهَهُنَّ، وَلَا يَخْفَىٰ مَا وَقَعَ فِيهِ النِّسَاءُ الْيَوْمَ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي التَّبَرُّجِ وَإِبْدَاءِ الْمَحَاسِنِ، فَوَجَبَ سَدُّ الذَّرَائِعِ وَحَسْمُ الْوَسَائِلِ الْمُفْضِيَةِ إِلَىٰ الْفَسَادِ وَظُهُورِ الْفَوَاحِشِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفَسَادِ: خَلْوَةُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَسَفَرُهُمْ بِهِنَّ مِنْ دُونِ مَحْرَمٍ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**».

وَقَال ﷺ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**».

وَقَال ﷺ: «**أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِه».

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّها الْمُسْلِمُون، وَخُذُوا عَلَىٰ أَيْدِي نِسَائِكُمْ، وَامْنَعُوهُنَّ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ مِنَ السُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ وَإِظْهَارِ الْمَحَاسِنِ وَالتَّشَبُّهِ بِأَعْدَاءِ اللهِ مِنَ النَّصَارَىٰ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ السُّكُوتَ عَنْهُنَّ مُشَارَكَةٌ لَهُنَّ فِي الْإِثْمِ، وَتَعَرُّضٌ لِغَضَبِ اللهِ وَعُمُومِ عِقَابِهِ، عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ شَرِّ ذَلِك.

وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ: تَحْذِيرُ الرِّجالِ مِنَ الْخَلْوَةِ بِالنِّسَاءِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِنَّ وَالسَّفَرِ بِهِنَّ بِدُونِ مَحْرَمٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**».

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**».

وَقَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ**».

وَقَال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا**

يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا».

وهٰذا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَلُبْسِ الرَّقِيقِ وَالْقَصِيرِ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ وَالْعِفَّة، وَإِمَالَةِ النَّاسِ إِلَىٰ الْفَاحِشَةِ وَالْبَاطِلِ، وَتَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ ظُلْمِ النَّاسِ وَالتَّعَدِّي عَلَيْهِمْ، وَوَعِيدٌ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِحِرْمَانِ دُخُولِ الْجَنَّة، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ مِنْ ذَلِكَ.

وَمِنْ أَعْظَمِ الْفَسَادِ: تَشَبُّهُ الْكَثِيرِ مِنَ النِّسَاءِ بِنِسَاءِ الْكُفَّارِ مِنَ النَّصَارَىٰ وَأَشْبَاهِهِمْ فِي لُبْسِ الْقَصِيرِ مِنَ الثِّيَابِ، وَإِبْدَاءِ الشُّعُورِ وَالْمَحَاسِنِ، وَمَشْطِ الشُّعُورِ عَلَىٰ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفِسْقَ، وَوَصْلِ الشَّعْرِ، وَلُبْسِ الرُّؤُوسِ الصِّنَاعِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ (الْبَارُوكَةِ).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، وَمَعْلُومٌ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا التَّشَبُّهِ.

وَهٰذِهِ الْمَلَابِسُ الْقَصِيرَةُ الَّتِي تَجْعَلُ الْمَرْأَةَ شِبْهَ عَارِيَةٍ مِنَ: الْفَسَادِ، وَالْفِتْنَةِ، وَرِقَّةِ الدِّينِ، وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ. فَالْوَاجِبُ الْحَذَرُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْحَذَرِ، وَمَنْعُ النِّسَاءِ مِنْهُ، والشِّدَّةُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ، وَفَسَادُهُ عَظِيمٌ، وَلَا يَجُوزُ التَّسَاهُلِ فِي ذَلِكَ مَعَ الْبَنَاتِ الصِّغَارِ؛ لِأَنَّ تَرْبِيَتَهُنَّ عَلَيْهِ يُفْضِي إِلَىٰ اعْتِيَادِهِنَّ لَهُ، وَكَرَاهِيَتُهُنَّ لِمَا سِوَاهُ إِذَا كَبُرْنَ، فَيَقَعُ بِذَلِكَ: الْفَسَادُ وَالْمَحْذُورُ وَالْفِتْنَةُ الْمَخُوفَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْكَبِيرَاتُ مِنَ النِّسَاءِ.

فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاحْذَرُوا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ سَائِلُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَمُجَازِيكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَمَعَ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ= فَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَاتَّقُوا اللهَ، وَأَحْسِنُوا، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ وُلَاةِ الْأُمُورِ: مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَرُؤَسَاءِ وَأَعْضَاءِ الْهَيْئَاتِ =**أَكْبَرُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ**، وَالْخَطَرُ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ، وَالْفِتْنَةُ فِي سُكُوتِ مَنْ سَكَتَ مِنْهُمْ عَظِيمَةٌ، لَيْسَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ خَاصًّا بِهِمْ ؛ بَلِ الْوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ - وَلَا سِيَّمَا أَعْيَانِهِم وَكِبَارِهِم وَبِالْأَخصِّ أَوْلِيَاءَ النِّسَاءِ وَأَزْوَاجُهُنَّ - إِنْكَارَ هٰذَا الْمُنْكَرِ، وَالْغِلْظَةِ فِيهِ، وَالشِّدَّةِ عَلَىٰ مَنْ تَسَاهَلَ فِي ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَرْفَعُ عَنَّا مَا نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ وَيَهْدِيَنَا وَنِسَاءَنَا

إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ، وَيُعْلِيَ كَلِمَتَهُ، وَأَنْ يُصْلِحَ وُلَاةَ أَمْرِنَا، وَيَقْمَعَ بِهِمُ الْفَسَادَ، وَيَنْصُرَ بِهِمُ الْحَقَّ، وَيُصْلِحَ لَهُمُ الْبِطَانَةَ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ صَلَاحُ العِبَادِ وَالبِلَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا محمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

للمراسلة حول تصحيح الأخطاء المطبعية
Sunnah.College1@gmail.com